سلسلة تهيئة الأجواء (7)

الانفصال بين النظرية
والتطبيق ودور الفكر الغربي

أ.د عجيل جاسم النشمي
الأستاذ بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية
جامعة الكويت

اللجنة الاستشارية العليا للعمل على
استكمال تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية
إدارة البحوث والمعلومات

طبعة خاصة باللجنة الاستشارية العليا
1416 هـ - 1995م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله وآله بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وأصحابه ، ومن والاه ، وبعد ،،، فإنه يسر إدارة البحوث والمعلومات في اللجنة الاستشارية العليا للعمل على استكمال تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية أن تقدم للمسلمين ، في هذا البلد الكريم بعض القطوف اليانعة من أفكار العلماء العاملين ، المستفادة من معين هذا الدين الحنيف ، لتكون زاداً للروح والجسد ، والدنيا والآخرة ، وعوناً لهم على وعي هذا الدين ، وتمكيناً لهم من محبته ، وتهيئة للأجواء الصالحة التي تأخذ بيد الجميع إلى تطبيق أحكام هذا الشرع الحنيف.

وقد سبق للإدارة – قياماً برسالتها – أن نشرت تحت سلسلة تهيئة الأجواء خمس رسائل لاثنين من العلماء الأعلام ، وهما الدكتور يوسف القرضاوي والدكتور محمد سعيد رمضان البوطي.

وها هي اليوم تقوم بنشر أربع رسائل أخرى للدكتور عجيل جاسم النشمي عضو اللجنة الاستشارية العليا ، ورئيس اللجنة التربوية ، وعميد كلية الشريعة في جامعة الكويت ، في مجال التربية ضمن تلك السلسلة ، وكل رسالة منها تحمل عنواناً مستقلاً.

والمؤلف بهذا البحث يذكر كثيراً من أصول التربية القائمة في عالمنا الإسلامي، وما خلقته من الآثار السلبية ، في شبابنا ، وأسرنا ، كما يلفت النظر إلى الأصول التربوية السليمة التي جسدها هذا الإسلام ، وبين آثارها السليمة على النشء والأمة ، وسوف يرى القارئ مصداق ما نقول في هذا البحث المبارك إن شاء الله تعالى.

والله نسأل الخير لنا وللمسلمين في العاجل والآجل ، إنه ولي السداد والتوفيق.

إدارة البحوث
والمعلومات

المؤلف في سطور ...

الاسم : عجيل جاسم سعود النشمي

- من مواليد الكويت عام 1946م بدأ تحصيله العلمي في مدارسها إلى أن حصل على الشهادة الثانوية (المعهد الديني).
- وأتم دراسته في كلية الشريعة والقانون – بجامعة الأزهر في جمهورية مصر العربية – فنال شهادة الليسانس في الشريعة والقانون في 5/1971م ، ثم حاز على شهادة الماجستير في أصول الفقه 9/1974م في الكلية المذكورة.
- نال درجة الدكتوراه في أصول الفقة – بتقدير ممتاز – بتاريخ 11/1977م جامعة الأزهر.
- عمل فضيلة المؤلف معيداً مقيماً في كلية الحقوق والشريعة – جامعة الكويت – ثم معيد بعثة حتى 3/1/1978م.
- عين في 1/1/1979م مدرساً بقسم الشريعة والدراسات الإسلامية – بكلية الحقوق – ثم مساعداً لعميد الكلية في 1//1982م.
- حصل على لقب أستاذ مساعد بتاريخ 13/10/1987م ثم على لقب الأستاذية بقسم الفقه والأصول بتاريخ 13/12/193م.
- عين عميداً لكلية الشريعة والدراسات الإسلامية – بجامعة الكويت في 17/12/189م.
- الكتب والأبحاث والدراسات المنشورة

للمؤلف العديد من الأبحاث والدراسات في أصول الفقه والتربية والتاريخ والثقافة العامة ، منها :-

1- تحقيق كتاب (الفصول في الأصول) للإمام أحمد بن علي الرازي الجصاص.

2- الإمام أحمد بن على الرازي الجصاص (دراسة شخصية).
3- المستشرقون ومصادر التشريع الإسلامي.
4- معالم في التربية الإسلامية، والتي منها أخذت هذه الرسالة التي بين يديك.
5- طلب القلوب للإمام ابن تيمية.
6- طلب القلوب – للإمام ابن قيم الجوزية.

- ومن أبحاثه المنشورة في مجلات علمية محكمة

1- العملة وأحكامها في الفقه الإسلامي.
2- تغير قيمة العملة في الفقه الإسلامي.
3- الحقوق المعنوية (بيع الاسم التجاري في الفقه الإسلامي)ـ
4- الدلالات اللغوية في أصول الفقه وتطبيقاتها في الشريعة والقانون.
5- الاستحسان حقيقته ومذاهب العلماء فيه.
6- مقدمات علم أصول الفقه.
7- التدرج في تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية ، مقدم لمؤتمر (حاجة البشرية إلى تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية) كلية الشريعة – جامعة الكويت.
8- وسائل التربية الإسلامية ، بحث مقدم إلى (مؤتمر تهيئة الأجواء التربوية لتطبيق أحكام الشريعة الإسلامية) اللجنة الاستشارية العليا – الديوان الأميري.
9- القيم الخلقية بين النظرية والتطبيق . بحث مقدم في المؤتمر العشرين لجمعية المعلمين الكويتية.

- ويرأس فضيلة المؤلف بعض اللجان العلمية والشرعية في الكويت إلى جانب عضويته في بعضها الآخر :

1- رئيس المكنز الآلي لبيانات الفقه الإسلامي بين وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية وشركة صخر العالمية 1992م.
2- عضو اللجنة الاستشارية العليا للعمل على استكمال تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية.
3- رئيس إحدى اللجان العلمية – الموسوعة الفقهية بوزارة الأوقاف.
4- نائب رئيس لجنة الفتوى بوزارة الأوقاف.
5- رئيس الهيئة العالمية لقضايا الزكاة 1992م.
6- عضو مجمع الفقه الإسلامي ممثلاً عن دولة الكويت – جدة.
7- مؤسس وعضو الهيئة العلمية لإعداد المناهج الدراسية لكلية الدراسات العليا الشرعية لأوروبا ومقرها باريس.
8- رئيس الهيئة الشرعية لبيت الزكاة.
9- عضو لجنة (قاموس القرآن الكريم) في مؤسسة الكويت للتقدم العلمي 1988م.

المقدمة :

ما زالت أصول التربية نظريات اجتهادية تتغير من زمن إلى آخر ، ومن مكان إلى آخر.

وهذا البناء التربوي الكبير الذي تعاقبت على بنائه أجيال من العلماء التربويين، يظل هشاً ضعيفاً ما دامت أصوله غير مستقرة ، ولم ترسخ بعد ، ولم تصبح أساسياته مسلمة حتى الآن. ولما تصل بعد إلى كينونتها حقائق علمية تربوية ثابتة غير قابلة للتغير المستمر.

وما زالت الدراسة تتنامى حول الأصول والأساسات التربوية ، وهذا وإن كان فيه إثراء للميسرة التربوية ، وتأصيل نهجها وسلوكياتها ، إلا أنه في ذات الوقت يشكل مصدر قلق واضطراب نفسي وسلوكي عميق بالنسبة للنتاج التربوي الذي نحسه يقيناً ونعيش معاناته من أثر تلك المتغيرات – في الأصول – التي ينبني عليها تغير حتمي بالنسبة للأساليب والتطبيقات .

وكان ينبغي لتحقيق النجاح التربوي أن نشرع قبل مزاولة العملية التربوية بإرساء وبناء الأسس والقواعد ، ثم تبدأ المسيرة وارتفاع البناء بعد ذلك . ولا بأس أن يكون التطور والإثراء – بعد الأساس – في جوانب الوسائل والأساليب والتطبيقات التربوية ، فإن ذلك يزيد من الرسوخ والنماء ولا يشكل اضطراباً في البناء ما دامت تلك الأسس ثابتة متينة . أما أن تظل الأسس التربوية عرضة للتغير، فهذا ما لا ينسجم وخطورة المنهج التربوي المطلوب ، والمهمة الخطيرة المرتقبة لهذا المناهج ونتاجها.

وحين نقرر ذلك ندرك مسبقاً أن علماء التربية عاجزون عن إدراك تلك الأصول التربوية وتثبيتها ، لسبب بسيط هو أنهم يبنون دراساتهم واجتهاداتهم في معالجة هذا الكائن البشري من منطلق مادي بحت في صبغته الأساسية مجرداً من صبغته

الروحية .. وحتى لو تناولوه من منطلق روحي أيضاً، فإنهم لن يدركوا السلامة في أصول المنهج ، لأن الذي يدرك هذا الإنسان بكينونته المادية والروحية ويدرك متطلباتهما هو الخالق الفاطر لهذا الإنسان وحده ، ومن هنا جاء الإسلام يحمل الحل لهذه القضية التربوية الخطيرة ، فوضع الأصول والضوابط الشرعية والأسس الأخلاقية لترشيد المسيرة التربوية ولذا كانت نظرة الإسلامية لهذه القضية هي النظرة والتناول السليم قطعاً لأنه اتبع الأسلوب العلمي الرصين في تناول أمر التربية والتوجيه.

فالأصول التي أرساها الإسلام أصول حاكمة ثابتة لا تتغير بتغير زماني أو مكاني. فالعقيدة الإسلامية هي الأساس الرئيسي للبناء التربوي . وجعل الجوانب النفسية والأخلاقية والثقافية والاجتماعية والسلوكية النفسية عوامل تربوية مرتبطة بأصلها الشرعي وما يحدد هذا الأصل من الكتاب الكريم والسنة المطهرة كمصدرين وأصلين تدور الاجتهادات والأساليب والتطبيقات التربوية في إطارهما.

ولم يكتف الإسلام عند حد ربط تلك الاتجاهات والأساليب والطرق التربوية وتأثيراتها النفسية والسلوكية بالمصادر الرئيسية فقط ، بل نسق تنسيقاً معجزاً بديعاً متوازناً فيما بين هذه الجوانب كلها ، ثم فيما بينها وبين تلك الأصول في إطار تناول هذا الإنسان كمادة وروح وعقل وجسم.

والإسلام بذلك لا يحجب العملية التربوية من إثرائها وتطورها وتعمقها ، فمع أنه ربطها بالأصول إلا أنه ترك لها حرية التحرك والإثراء والتجديد تبعاً لمتغيرات المجتمع والظروف زماناً ومكاناً من حيث الأساليب والوسائل والطرق وهذا التغير في هذا الإطار محمود مرغوب ما دام مرتبطاً بأصوله الثابتة.

والناظر لواقع مناهجنا التربوية يجد التناقض والتغير بين فترة وأخرى تبعاً لتغير النظريات التربوية التي وضعت لمجتمعات غير مجتمعاتنا ، وتختلف عنا من حيث الأسس والتاريخ والواقع . وهذا الذي زرع الانفصام في مناهجنا وواقعنا بين النظري والتطبيق.

الانفصام بين المنهج والواقع

إن المناهج التربوية ، إنما تصاغ لتنزل إلى واقع الناس ، وتعايشهم أحداث هذا الواقع ومشاكله ، بل إن هذه المناهج منبثقة من هذا الواقع فهي بالتالي لم تنشأ من فراغ ، فينبغي أن لا توضع في فراغ.

والإسلام منهج تربوي ، يحمل اعتقاداً وتصوراً يصوغ به الفرد صياغة شاملة ، روحة وعقله وجسمه ، لا انفصام بينها . ويعكس تلك الصياغة لإيجاد واقع حي يحاكي تلك الروح والعقل والجسم ، ويكيف هذا الواقع وفق ما يريده ذلك التصور والمعتقد.

فالإسلام جاء منهجاً تربوياً ليطبق في واقع ملموس ، ويوم يبتر المنهج عن واقع الناس ، ويحال بينه وبين هذا الواقع ، يظل مثالاً ينشد بلا قيمة ولا تأثير ، يظل مجرد تاريخ يدرس ويحفظ كأي خبر تاريخي سالف ، يظل صورة بلا روح.

إن الشباب المسلم الذي ارتضى الإسلام منهجاً لحياته عقدية وسلوكاً يصطدم أول ما يصطدم بواقعه الإجتماعي. وإذا كانت المفاهيم الإسلامية التي يدرسها في مدرسته أو المحاضرة أو البرنامج الديني أصواتاً تبني في هذا الشاب جانباً من المنهج التربوي الإسلامي فإن الواقع المعارض والذي تبنيه وتباركه أجهزة مكثفة ، يهدم ويطمس هذه الأصوات التي أصبحت مع مرور الأيام أصوات نشاز تائهة وسط هذا الزخم والضجيج الواقع والإعلامي ، الذي يكسر تأثير تلك المناهج بقوة الواقع ، فالواقع أقوى تأثيراً من النظريات المثالية المجردة من سلاح الواقع.

إن قضية هذا الانفصام بين المنهج والواقع ، هي التي أوجدت شباباً لا يجد له مكاناً في خانات المجتمع ، وأصبح ينظر إلى هذا المجتمع على أن نشاز عن الحق وينظر المجتمع له وأمثاله على أنهم هم النشاز ....

إن سكوتنا على هذه القضية يعني أننا نحصر هذا الشباب في زاوية حرجة لن يجد هذا الشباب منها مخرجاً غلا في جهتين :

الأولى : أن يهون عليه ما يحمل من منهج ومعتقد ، فلا يقوى على مواجهة هذا الانفصام ، فالمجتمع من حوله بواقعه ومناهجه وأعرافه ونظمه وقوانينه ، يدعوه للتنازل عما يحمل ، والانصهار في بوتقة المجتمع الحامية ، فيؤثر الذوبان على الصمود .....

والثانية : أن يظل هذا الشباب قابضاً على دينه ومنهجه ، مكتفياً بمساحة الزاوية التي حوصر فيها ، رغم ما يحسه من لذعة وحرفة كحرقة الجمر أو تزيد ... لا يخفف عليه منها إلا اتساع هذه الزاوية بكثرة الوافدين إليها ، الحاملين أنفسهم على العزائم.

وتبدأ شقة الانفصام تزداد وتكبر وتنفرج الزاوية وتبدأ المنافسة بين منهجين ، على واقع واحد ، أما أن يبقى أو يغير ، إلى واقع جديد وفق منهج جديد.

ولقد مرت مجتمعاتنا بهذه المرحلة الأخيرة من هذه القضية ، واستخدمت علاجات كثيرة متنوعة ، فأخذت أسلوب الحوار تارة وأسلوب الكبت والبطش وغيرها تارة أخرى، ولكنها لم تصل إلى نتيجة ... وفشلت كل الأساليب لعلاج هذه القضية.

فشلت أساليب العلاج وكان لا بد لها أن تفشل ، لسبب واحد ، هو أنهم اعتبروا هذا الشباب ومسلكه مشكلة تحتاج إلى حل ... بينما هو في حقيقة الأمر علاج المشكلة ، بل علاج المشاكل ، وكم هو حيف وجور ، أن نجعل من الدواء داء ، ومن الصحة مرضاً ، ومن الحل مشكلة.

وينبغي أيضاً ألا يكون هناك فصل بين العلوم الدينية التربوية وغيرها وبين العلوم المدنية ، أو بمعنى أصح ليس هناك تخصص مدني وتخصص ديني ، بمعنى انفصال كل منهما

عن الآخر انفصالاً تاماً ، بل إن التخصص الشرعي لا يمنع من الإلمام بالعلوم العلمية ، كما أن التخصص العلمي لا يخلو من الدراسة الدينية ، فكلا الفريقين متحاج إلى الآخر ، حاجة الدين للدنيا وحاجة الدنيا للدين ، حاجة متداخلة متناسقة .

وعلى ذلك ينبغي أن يوجد بين العلمين تناسق وتوافق وليس في هذا حجر على المواد العلمية التقنية من الانطلاق ، بل إن امتزاجها بالمواد الدينية والتربوية عون لها على الانطلاق وتحديد المسار العلمي السليم وتجنيبه الانحراف.

ولا تقل خطورة هذا الفصل التام – الذي كاد يصبح من المسلمات عند جمهور الشباب – عن خطورة الفصل بين الدين والدولة ، والدولة من الدين ، فكذلك لا فصل للعلوم الدينية عن العلمية ولا للعلمية عن الدينية.

وهذه الوحشة والفصل بين الدين والعلم وحشة مفتعلة وافدة لم تعرفها حضارتنا الإسلامية وهي في أوج عزها ومجدها وصدارتها وريادتها الناس ... وإنما وفدت إلينا من الحضارة الجديدة اليوم ، ونتيجة الانفصال والعداء بين الكنيسة والعلم ، وإذا كانت الكنيسة قد حاربت العلم والعلماء ، أو حارب العلم الكنيسة ، فما ضير المسجد وقد رعى وحمى العلم وكان محرابه ومعمله .. فقد كان القضاة وأئمة المساجد أطباء ومهندسين وعلماء في الرياضة والكيمياء ...

إن هذه الوحشة المفتعلة والموجودة في مناهجنا عموماً جعلت كثيراً من المواقف الصعبة الحرجة تمر على شبابنا وتبقي في نفوسنا تناقضاً بين ما يدرسونه من العلوم العلمية والدينية دراسة منفصلة غير متناسقة ، فقد يبدو التعارض الظاهري بين بعض الحقائق العلمية والآيات القرآنية ، فيترك غصة في أذهان الشباب ربما غلبوا فيها موقف العلم على الدين ، أو على الأقل تظل نفوسهم وعقولهم متشككة مضطرية ، خصوصاً وأن الأستاذ لا يستطيع أن يوفق بين ما يقوله مع ما يقوله أستاذ المادة الأخرى ، فإذا سأل الشاب عما

يحسه في نفسه أستاذ العلوم قال له اسأل الدين ، وإذا سأل أستاذ الدين أحاله إلى أستاذ العلوم.

وهذا الموقف موقف تربوي خاطئ يعكس في نفوس الشباب نفرة عميقة في مستقبل حياتهم بين العلمين ، ، ويهيئ هذه النفوس للتخصص المنفصل ، ما دام يستحيل في وجدانهم الجمع بين المتناقضين :

فإذا قرأ أستاذ الدين – مثلاً – قوله تعالى (خلق السماوات والأرض في ستة أيام) وشرح له الآية كما وردت ، ثم دخل أستاذ الجيولوجيا وقال له : إن الأرض احتاجت إلى ملايين السنين حتى تكونت . وشرح له هذا القول وخرج.

أو قد يسمع أستاذ الدين يقرأ قوله تعالى (والشمس تجري لمستقر لها) ويسمع أستاذ العلوم يقول له : إن الشمس ثابتة لا تتحرك ، فكيف سيكون حال التلميذ .. وأيهما يصدق ، وأيهما صحيح القول، وكلا الأستاذين لا يستطيع الجواب ولا يعرف التوفيق فيما لو سئل، مع أن الجواب سهل حاضر لو سمح للعلمين أن يمتزجاً ويتدارساً قضاياها الموحدة.

إنها قضية تربوية حادة تعيشها مناهجنا ، وتحتاج منا إلى وقفة نهيئ فيها الجو العلمي الديني الرصين لنزيل هذه الوحشة بينهما ، ونعيد لهما ذاك الانسجام الإسلامي الأصيل ، لنرى بعدها كيف سيكون النتاج والإبداع والثمر.

ومما لا شك فيه أن الصلة بين الدين الإسلامي والعلوم الطبيعية صلة وثيقة جداً مهما حاول البعض التشكيك فيها وتشويه صورتها بأساليب مختلفة ولأهداف متباينة ، فقد يرى بعض من المسلمين وجوب التفرقة بين العلوم والدين خشية الافتتان بالعلوم أو الخوض في متاهات قد تقود إلى زعزعة الإيمان. ويرى البعض الآخر أن الدين والفلسفة مثلاً أشياء تجريدية ، بينما العلوم مبنية على التجريب ولذلك فالالتقاء بينهما شبه مستحيل ، أما بالنسبة للغربيين فهم – بمناسبة

وبدون مناسبة – يؤكدون على أن الدين الإسلامي والعلوم الطبيعية نقيضان لا يلتقيان ، وأن سبب جمود المسلمين وتخلفهم هو دينهم الذين يدينون به ، وفي الحقيقة لا غرابة في قولهم هذا ، فهم أعداء الإسلام التقليديون واعداء المسلمين الألداء ، ويعملون مباشرة وغير مباشرة للنيل من الدين الإسلامي الحنيف والتقليل من شأنه وشأن معتنقيه ، يبد أننا إذا نظرنا إلى الرسالة السماوية التي أنزلها على عبده ورسوله (صلى الله عليه وسلم) نجد أنها تؤكد الصلة الوثيقة بين العلم والدين وتنادي بتقويتها ، ففي القرآن الكريم خمس وثلاثون آية تأمر بالنظر فيما يتعلم منه الإنسان ، وأكثر من خمسين آية تدعو إلى النظر وطلب السير في الأرض للتعليم ، قال تعالى : (الذين يذكرون الله قيماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار).

وقال تعالى :

(أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت (17) وإلى السماء كيف رفعت (18) وإلى الجبال كيف نصبت (19) وإلى الأرض كيف سطحت (20)).

وقال تعالى : (وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شئ فأخرجنا منه خضراً نخرج منه حباً متراكباً ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبهاً وغير متشبه انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه إن في ذلكم لأيات لقوم يؤمنون (99)) .

فهذه دعوات فيها تشويق كبير للاستزادة من علم النبات ، والتفكر في خلق الله من حيوانات وجمادات والتمعن في كل ما فيها من روعة ودقة وتناسق وإعجاز ، فإمعان النظر في مخلوقات الله هو المنطلق الصحيح للعلم ، لأن العلم يبدأ بالمشاهدة الصحيحة التي ينطلق معها التفكير فيرتاد آفاقاً جديدة باحثاً ومنقباً ليضيف إلى التراث الفكري الإنساني شيئاً

جديداً ، فهذا هو العلم الذي يهدي إلى الإيمان ، إن خلق الله كتاب مشاهد ، وما أنزله على سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) هو الكتاب المقروء، وكلاهما يهدي إلى غاية واحدة وهي أن كل شئ مرده إلى الله سبحانه وتعالى، فكتاب الله المقروء – الذي هو التنزيل الكريم – يوجه النظر إلى كتاب الله المشاهد وهو الكون وما فيه من بدائع الخلق وعظيم الآيات ، فالعلم ثمرة من ثماره وأن العلم هو الطريق إلى الإيمان وهو وسيلة لترسيخ هذا الإيمان، فالعجائب التي يشاهدها الباحثون في العلوم الطبيعية من خلال دراساتهم تدل دلالة قاطعة على أن هناك تصميماً وقصداً في كل شئ وأن ثمة برنامجاً ينفذ بحذافيره طبقاً لمشيئة الخالق عز وجل ، ومن ناحية أخرى فإننا نجد في القرآن الكريم أن الكثير من الآيات التي تشير إلى التوحيد أو الإيمان هي آيات علمية إما أن توجه النظر لدراسة كتاب الله المشاهد أو أنها تورد حقيقة من حقائق العلم.

إن العداء الذي يزعمون بين العلم والدين هو وضع أوجدته وعملت على تعميق جذوره الكنيسة ، وكان ذلك عندما بدأت العلوم الطبيعية تتحسس طريقها في درب الحياة.

وعندما ثبتت أقدام العلم وبدأت إنجازاته تبهر الأبصار ، شعرت الكنيسة الأوروبية، وهي آنذاك ذات السلطة المطلقة المتحكمة في كيان المجتمع ، شعرت بأن سلطتها وسيادتها مهددتان بهذا المارد الذي جاء من حيث تدري الكنيسة ولا تدري ، وان بساط السلطة والمجد سوف يسحب من تحت أقدامها. حفاظاً على ذلك المركز لبست الكنيسة ثوب العداء السافر للعلم والقائمين عليه وأعلنتها حرباً شعواء لم تدم طويلاً حتى خرجت هذه الكنيسة منها بخسران مبين ، ويبدو أن الغربيين قد ارتأوا أن يسخروا هذا الخسران لصالحهم ، وهم المعروفون باستغلالهم لكل الظروف لصالحهم في كل حال ، فبدأنا نسمع عن التناقض بين العلم والدين، أي دين،

وهكذا حولوا الوضع وبجسارة عجيبة إلى أن الدين الإسلامي يتناقض مع العلم وقفزوا إلى الاستنتاج الغريب بأن تأخر المسلمين مرده لهذا السبب بينما تردي أحوال المسلمين وضعفهم وتخلفهم عن ركب الأمم مرده في الواقع إلى تفسخ الأجيال عن الإسلام وبعدهم عن جوهره وهجرهم لتعاليمه ، وهم الذين كانوا حملة لواء العلم والحضارة وفي طليعة البشر يوم كانوا مستمسكين بالعروة الوثقى . هاديهم القرآن الكريم وقدوتهم محمد (صلى الله عليه وسلم).

الانفصام بين المنهج والأستاذ

إذا كانت جميع نواحي التعليم مهمة ويجب الاهتمام بإصلاحها جميعاً لتكون عوامل دعم للعملية التربوية ككل ، فإن من أهمها ومن أولى ما يجب الاهتمام بإصلاحه هو المعلم باعتباره العنصر الأساسي في العملية التعليمية وفي الموقف التعليمي الذي يتفاعل معه المتعلم ويكتسب عن طريق تفاعله مع عناصره المختلفة خبراته ومعارفه ومهاراته واتجاهاته ، فإذا كان هذا الموقف التعليمي يدخل ضمن عناصره : الكتاب المدرسي ، والوسائل التعليمية ، وما يحتويه الفصل من أثاث وأدوات وملصقات وما إلى ذلك ، والعلاقات المتفاعلة والعواطف السائدة بين من يضمهم الموقف التعليمي من أشخاص ، فإنه من أهم عناصر هذا الموقف هو عنصر المعلم الذي يقود ويوجه العناصر الأخرى في الموقف التعليمي ليجعلها في وضع تخدم معه العملية التعليمية وتساهم في إنجاحها .

ولهذا ، فإنه لا يمكن أن يصلح حال التعليم ولا الموقف التعليمي إلا إذا صلح حال المعلم ديناً وخلقاً وعلماً وثقافة عامة وإعداداً فنياً وتربوياً وشخصية ، أو بعبارة أخرى إن حال التعليم لا يمكن أن يصلح إلا إذا كان المعلم في وضع يمكنه من تنظيم الموقف التعليمي وترتيبه وتوجيهه النافعة للعملية التعليمية والميسرة لسبيلها على المتعلم ، والمعلم الصالح من النواحي التي ذكرناها يستطيع بكل تأكيد أن يعوض كثيراً من جوانب النقص في العناصر الأخرى للموقف التعليمي من : منهج ، ووسائل تعليمية ، ومبنى مدرسي ، وغيرها من العناصر ، كما يستطيع أن يتلافى كثيراً من جوانب التقصير في التربية المنزلية وفي رعاية مؤسسات الوسط الثالث وفي خدمات المؤسسات والمنظمات الأخرى في المجتمع.

وقد أصبح الإيمان بأهمية المعلم وبدوره القيادي في العملية التربوية داخل الفصل وخارجه أحد المبادئ والمسلمات

الأساسية التي تقوم عليها التربية الحديثة نظرية وتطبيقاً ، وقد جاءت ملاحظات وأقوال المربين المحدثين جميعاً مؤيدة لهذا المبدأ ومعبرة عنه ، والذي يرجع إلى تراثنا الإسلامي الذي يستمد أصوله من الكتاب والسنة ومن المصادر المعتبرة الأخرى يجد فيه من النصوص والشواهد الكثيرة ما يؤكد بوضوح مبدأ الإيمان بأهمية المعلم وينبه إلى الدور الخطير الذي يقوم به في بناء الفرد وإصلاح أحوال المجتمع وحمل رسالة الدين وفهمها وتفهيمها للناس، ويرفع من شأن العلم والعلماء ، ويجعل العلماء ورثة الأنبياء ويعتبر عملهم من أجل تعليم الناس وإفادتهم من خير الأعمال الصالحة وفي درجة العبادة والجهاد في سبيل الله.

وكان من اهتمام المسلمين الأولين بالمعلم والإيمان بأهميته : أن أوجبوا أن يؤخذ العلم من شيخ لا من كتاب ، وسموا من يأخذ من كتاب صحفياً ولم يعولوا عليه. وروي عن أبي حيان :

أمدعياً علماً ولست بقارئ كتاباً به يسهل الحزن
أتزعم أن الذهن يوضح مشكلاً بلا موضح ؟ كلا لقد كذب

وقد قسم الشيخ أحمد زروق المشايخ الذين يحتاجهم المريد السالك إلى ثلاثة أنواع : شيخ تعليم ، وشيخ تربية ، وشيخ ترقية ، وحدد لكل منهم الشروط والصفات التي ينبغي أن تتوفر فيه وبين مستند أهمية وضرورة كل من هؤلاء الثلاثة بالنسبة للمريد السالك ، وكان من بين ما قاله بالنسبة لمستند هذه الأنواع الثلاثة من المشايخ الذين يحتاجهم السالك إلى الله :

(أما شيخ التعليم فمستنده واضح ، لأنه لا علم إلا بتعليم ولا تعلم إلا من معلم ، وقد تكفي دونه الكتب للحاذق الفهم مع نقص في إدراكه وحظه كما قيل :

ولا بد من شيخ يريك شخوصها فتعرفها بالاسم والعين أقطع

وإلا فنصف العلم عندك حاصل ونصف إذا حاولته يتمنع

وقد قال تعالى : (بل هو ءايات بينات في صدور الذين أوتوا العلم)

وقال الغزالي في المناهج ما معناه : إن الكتب كافية ولكن الشيخ فاتح والله أعلم.

وأما شيخ التربية فدليله قوله تعالى : (واتبع سبيل من أناب إلى) وكان عليه الصلاة والسلام يرعى أصحابه في دينهم ودنياهم على حبس ما يراه لهم ، فأباح لقوم ترك الصوم ومنع قوماً منه ، وتفقد فاطمة وعلياً لقيام الليل ، وعائشة تعترض بين يديه اعتراض الجنازة، وأسر لبعض أصحابه أذكاراً وأطلق بعضاً في العموم ، وكان يحدث حذيفة بالحوادث لاستعداده لقبولها ولا يسرها لغيره ، إلى غير ذلك مما يطول ذكره فتأمله ، وقيل في قوله تعالى : (كونوا ربنين) علماء حلماء ، وقال ابن عباس (والرباني الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره) ذكره البخاري.

أما شيخ الترقية فمستنده قول عمر رضي الله عنه : ما نقضنا التراب على أيدينا من دفنه (صلى الله عليه وسلم) حتى وجدنا النقص في قلوبنا . فأفاد أن رؤية شخصه الكريم (صلى الله عليه وسلم) كان مفيداً لهم ، فكذلك من له نسبة منه بطريق الوراثة العلمية ، ومن ثم كان النظر إلى العالم عبادة ، وجاء في الخبز : (من نظر لهم نظرة ، سعد سعادة لا يشقى بعدها أبداً)، وفي الصحيح : (خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم) وما ذلك إلا لاختصاصهم برؤيته عليه الصلاة والسلام على القرب ثم رؤية من رآه كذلك فافهم ....

ولم يثق المسلمون الأولون بالكتب حتى تقرأ على مؤلفيها ويجيزوا القارئ بروايتها عنهم ، ومن أجل هذا نجد على الكثير من الكتب الخطية ، حتى كتب الأدب ، مثل ديوان أبي الطيب

المتنبي ، سماعات للعلماء الذين قرؤوها ، تبين اتصال ما بين صاحب الكتاب ومؤلفه ، قرب العهد أم بعد .
فالمناهج التعليمية التربوية إذاً تبقى حبراً على ورق، ما لم يقم على ترجمتها أستاذ يدركها حساً وروحاً وضميراً وخلقاً وسلوكاً ، ويترجم مادة هي في نفسه وضميره قبل أن تكون في عقله وعلى لسانه.
الأستاذ هو القدوة المرئية والمحسوسة لهذا المنهج ، وبقدر ما يعطي من داخله بإخلاص بقدر ما يكون التلقي والإدراك السليم لهذا التلقي الموزون المؤثر ، وبالتالي فإن نجاح أو فشل المناهج التعليمية يتوقف على الأستاذ المربي ، فهو المحرك لدقة المناهج نحو السمو أو الدنو ، نحو النجاح أو الفشل ، فهو الإناء التربوي ينضح بما فيه ، إن خيراً فخير ، وإن سوءاً فسوء.
ولو كانت المادة التعليمية شهداً خيراً نظيفاً ، فإن الأستاذ يستطيع أن يجعل نمها حنظلاً خبيئاً عفناً ، ينتج جيل شؤم ودمار .
وإذا هان الخطب في أستاذ المواد العلمية وما هو بهين ، فإن الخطب لا يهون في أساتذة المواد النظرية التربوية والإسلامية خصوصاً.
فالأستاذ الذي يلقن تلاميذه هذا المنهج إن لم يكن لسان حاله كلسان مقاله. يقول الكلمة وهي فيه ، فلا أثر لهذه الكلمة ولو كانت وحياً يتلى ، ولو كانت الكلمة متمثلة فيه فإن تأثيرها يبلغهم وإن لم ينطق بها فهو قدوتهم في كل شئ وشأن ، فلسان حاله أبلغ من لسان مقاله .
هذا الانفصام قضية خطيرة تعكس واقعاً ملموساً في حياة شبابنا الذي تخرج ويتخرج اليوم من مدارسنا وجامعاتنا أو من مدارس وجامعات أخرى ، وأصبح عضواً مؤهلاً لأن يعطي من نتاجه المشوش المنفصم ، إننا بمثل هذا النتاج إنما نعيد الغرز والغرس الخبيثين اللذين استشربهما هذا الشاب من أستاذه

وغدا نسخة مكررة منه، وقديماً قالت العرب : من شابه أباه فما ظلم . لأنه درس هذا العلم منفصلاً عن المربي أو الأستاذ ، درسه كوسيلة لغاية كسب مادي أو مركز اجتماعي أو خلافه ... لا ارتباط بينه وبين الخلق والدين والمبادئ تماماً كما كان أستاذه يلقنه ذلك العلم التربوي وواقعه وسلوكه خلافه ، ولم ينقص ذلك من كونه مدرساً أو دكتوراً ذا مكانة توجيهيه تربوية ، بل يترقى إلى مراكز أكثر دقة وحيوية وتأثيراً .

لقد كان أسلافنا من علماء المسلمين يتلقون عن أساتذتهم ليس العلم فحسب وإنما الخلق والدين والأدب والسلوك ، وكان تقييم التلميذ ليكون أستاذاً هو مجموع هذه الصفات ، ولو حاز علم الدنيا كلها فلا يؤيه له ولا يلتفت إليه ما دام دميم الصفات سئ الأخلاق.

فكان الأستاذ مدرسة تربوية جادة لا يمكن أن يجتاز من تحت يده من لم تكتمل له صفات الصلاح والتقوى ، لأن هذا التلميذ لا يذكر إلا واسم شيخه مقروناً به فإن كان سيئاً فسيلحق السوء بشيخة ، وهذا ما لا يرضاه الأستاذ ولا التلميذ ...

إننا نريد الأستاذ الذي جعل معتقده همه ورضي ربه غايته ونهج رسوله مبتغاه، فيعطي من روحه ودمه وعقله العصارة الصافية الصادقة الدافقة الرافعة من شأن الأمة وشبابها، فهذا النوع من الموجهين هم الذين يؤسسون قواعد البناء الشامخ المتين ، ويبذرون بذور البنية الإيمانية الراشدة التي ، تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ، ويزرعون الكلمة الإيمانية التي يقوم على أساسها المجتمع ضاربة جذورها في الأرض ويراه الناس بناء شامخاً قوياً لا تؤثر فيه العواصف.

إن التأكد على سلامة صدر وعقيدة الموجه المربي إنما هو انبثاق من تصور أن هذا الدين ليس أمراً يخص عقيدة الأمة وتشترك في تقويته وإنمائه والحيلولة دون نقصانه او خدشة الأمة بكاملها.

وإن اعتبار الدين قضية شخصية إنما هو تأثر وانعكاس لفصل الغرب بين الكنيسة والعلم وجعل الدين محصوراً ومخنوقاً في قلوب الناس ونفوسهم لا شأن له بواقع الناس ، إننا بناء على ذلك .. في حاجة ماسة إلى إعادة النظر في أسس الهيكل التعليمي التربوي فيما يخص الصلة بين الأستاذ وما يعتقده من المنهج التربوي السليم.

صحيح أنها عملية غربلة شاقة ، لكنها حتمية ضرورية لحسن المآب ... وطيب الثمر.

نظام التعليم الغربي

ليس حتماً أن يكون إنشاء المدارس والكليات والجامعات دليل تقدم وتطور بقدر ما هو دليل على حسن النية والصدق والجد في الأخذ بالأساليب الصحيحة المدروسة العلمية الموصلة إلى دروب التقدم الحقيقي.

وحينما تدقق في كثير من الصروح العلمية الشامخة في كثير من البلاد العربية وغيرها تجد أنها من ذلك النوع الذي لم ينشأ ليكون أداة تقدم بل أنشئ ليكون أداة هدم وقتل لروح الشباب والأمة ، وليكون هؤلاء الشباب أدوات تخريب وتخريم بعد ذلك ، فكم من الكليات لا تمثل نفسها ولا أمتها ولا دينها بل تمثل كلية من كليات المستعمر القديم بما حشاه في هذه الصروح العلمية من أفكار الغزو الثقافي الفتاك ، ليواصل بعد ذلك خريجو هذه الكليات مهمة قتل كل همة جادة في مهدها ، بل قتل أنفسهم أولاً لأن عملية القتل هذه أسهل وأجدى من تلك القديمة التي تجهز على الإنسان وتقتله بطريقة بدائية تقليدية ، كما كان يفعل فرعون مصر.

وهذا شاعرنا الإسلامي ، أكبر الإله آبادي يعبر عن هذه الحقيقة أدق تعبير بأسلوبه الساخر متهماً فرعون بالغباء والبلادة فيقول : (يا لبلادة فرعون الذي لم يصل تفكيره إلى تأسيس الكليات ، وقد كان ذلك أسهل طريق لقتل الآولاد ، ولو فعل ذلك لم يلحقه العار وسوء الأحدوثة في التاريخ "!

وإذا فاتت فرعون الأكبر هذه الحقيقة فإنها لم تفت على فراعنة القرن العشرين ، فقد نجحوا في استخدام هذه الصروح العلمية لدفن الناس أحياء ومسخهم وتشويههم ، فجعلت من هذا الشباب مشكلة في حد ذاته بدل أن يكون الدواء والبلسم الشافي لمشاكل المجتمع .
لقد انتهى عصر قتل الناس بطريقة فرعون بإزهاق أرواحهم ، فهذا لا يقضي على المشكلة ، بل إنه يقضي على جزء منها – في الظاهر – وبجهد كبير ، لكن القتل بالأسلوب الحديث قتل للأمة بأسرها وبطريقة سهلة.
وهذا محمد إقبال وقد اكتوى بنار التعليم الغربي يعبر عن هذه الحقيقة فيقول : (إياك أن تكون آمنا من العلم الذي تدرسه فإنه يستطيع أن يقتل روح أمة بأسرها .. وأن التعليم هو الحامض الذي يذيب شخصية الكائن الحي ثم يكونها كما يشاء ، إن هذا الحامض هو أشد قوة وتأثيراً من أية مادة كيميائية ، هو الذي يستطيع أن يحول جيلاً شامخاً إلى كومة تراب "، وهو يرى أن نظام التعليم الغربي مؤامرة ، فيقول : إن نظام التعليم الغربي إنما هو مؤامرة على الدين والخلق والمروءة.
وإذ يحذر محمد إقبال من مغبة المناهج التربوية الغربية وأثرها السئ على شباب العالم الإسلامي ، فإنه كان ينظر بمنظار عصره ، وهو بداية الغزو الثقافي الفكري ، ولو أنه رأى اليوم نتاج هذا الغزو لتحقق من عمق الجريمة لاتي ارتكبت وفداحة الخبط الذي استعر.
إن نظرة إقبال نظرة ثاقبة تدل على حصافة وعمق إدارك وبعد نظر وشدة اهتمام بأمور المسلمين.
كان يتكلم عن الحامض وخواصه وكيف أنه يستطيع أن يحول جيلاً كاملاً من الشباب القوي إلى كومة تراب لا قيمة له ولا روح فيه ، كان يتكلم عن أمور هي نتائج طبيعية لهذه النظم التربوية الغربية ، وهي لم تنتج نتاجها في أيامه بالشكل الواسع الملموس ، ولكنها اليوم شاخصة للعيان يحسها كل ناظر

ومحلل ومدقق وغيور على دين الله عز وجل ، إن هذه الجموع الغفيرة الحاشدة من شباب الأمة ، كم تساوي في الميزان ؟ إن كثيراً من هذا الشباب ممن نشأ في أحضان هذه النظم هو الآن يهدم بمعول الغرب بيت الإسلام من حيث يشعر أو لا يشعر إن النظم التربوية الغربية صاغت الشباب في شخصية غير مكتملة الملامح وهذه جناية كبيرة كما ينبهنا عليها محمد إقبال فيقول : إن التعليم الحديث قد جنى على هذا الجيل جناية عظيمة ، إذ اعتنى بتربية عقله وتثقيف لسانه ، ولم يعتن بتغذية قلبه وإشعال عاطفته وتقويم أخلاقه ، وتهذيب نفسه ، فنشأ جيل غير متوازي القوي غير متناسب النشأة ، قد تضخم وكبر بعض نواحي إنسانيته وحياته على حسبا بعض ، وأصبحت المسافة بين ظاهره وباطنه ، وعقله وقلبه وعلمه وعقيدته مسافة شاسعة.

بل أصبح التفاوت بين عقله وجسمه كبيراً ، فالأول ضخم كبير ، والثاني ضعيف ناعم ، ويقول : إن الشباب المثقف فارغ الأكواب ظمآن الشفتين مصقول الوجه مظلم الروح مستنير العقل ، قليل البصر ، ضعيف اليقين ، كثير اليأس ، لم يشاهد في هذا العالم شيئاً . هؤلاء يبني الأجانب من ترابهم الإسلامي كنائس وأدياراً ، شباب ناعم رخو رقيق في الشباب كالحرير ، يموت الأمل في مهده في صدورهم ، ولا يستطيعون أن يفكروا في الحرية.

إن المدرسة نزعت منهم العاطفة الدينية وأصبحوا خبر كان ، مؤمنون ولكن لا يعرفون سر الموت ، ولا يؤمنون بأنه لا غالب إلا الله ، يشترون من الإفرنج اللات ومناة ، مسلمون ولكن عقولهم تطوف حول الأصنام ، إن الإفرنج قد قتلوه من غير ضرب ومن حق كل أحد منا اليوم أن يسأل نفسه هل هذه المادة التعليمية في هذه الصروح العليمة ..أو هل هذا الحامض يشكل جيلاً متميزاً ذا شخصية مستقلة وهمة عالية ، جيلاً همه رفعة أمته وتقدمها وتطورها ؟ أم أن هذه المادة التعليمية أو

هذا الحامض يشكل جيلاً همه بطنه ومظهره وشهوته ومحاكاة الغرب وتقليده في كل رخيص وهابط ؟
ومن حق كل واحد أيضاً أن يختار الجواب ، فمنهم من يقول : لا ، ومنهم من يقول : نعم ، ومنهم من يقولك : ليس الأمر على إطلاقه فجيلنا فيه من النوع الأول وفيه من الثاني ... وأياً ما كان الجواب فإن الأمر إما أن يكون قد ظهر على غير حقيقته أو ظهر على حقيقته أو التبس بين الاثنين فليحكم الواقع بنتائجه بين هؤلاء جميعاً ... وإننا إزاء ذلك ليس لنا إلا الشكوى ... نشكو لأننا لا نملك إلا هذا ... كما شكا محمد إقبال من قبلنا حين قال : أشكو إليك يارب ولاة التعليم الحديث : إنهم يربون فراخ الصقور تربية بغاث الطيور – أي التي تصاد ولا تصطاد كالحمام – وأشبال الأسود تربية الخروف .
وإذا كان في أيامه صقور وأسود ... فماذا تراه قائلاً لو كان بيننا اليوم ؟ ...

التربية العاطفية

المشاكل العاطفية أو الجنسية من أبرز القضايا التي تعاني منها مجتمعاتنا المعاصرة ، ولا نعدو الحقيقة إن قلنا إنها ثورة جنية عالمية صارخة ، ولهذا فقد تأسست لها وفي سبيلها مؤسسات تربوية ، ودور للدعاية وأجهزة إعلامية متخصصة بل أصبح الجنس علماً تخصصياً مستقلاً.

ولقد بدأت هذه الثورة مع إشراقة الحضارة الأوروبية حين رفع اليهود معول الهدم الجنيسي قائلين " يجب أن نعمل لتنهار الأخلاق في كل مكان فتسهل سيطرتنا ، إن فرويد منا وسيظل يعرض العلاقات الجنسية في ضوء الشمس ، لكي لا يبقى في نظر الشباب شئ مقدس ، ويصبح همه الأكبر هو إرواء غرائزه الجنسية.

وقد واكبت مسيرة الحضارة الأوروبية تلك الخطة الماكرة التي صبغت الحاضرة بهذا اللون الأحمر الذي عرض على المجتمعات على أنه عنوان الحضارة والتقدم وأنه أمر عادي يخص الناس بأشخاصهم فكانت النتيجة هناك كما أرادها اليهود فقد انهارت قوى الشباب الذي كلما أسرف في موائد الجنس شعر بحاجة أكثر ولإسراف أشد.

وهكذا كان الضياع الذي أعلن عنه كنيدي عام 1962م في تصريحه الشهير حين قال للأمة الأميركية : " إن مستقبلها في خطر لأن شبابها مائع منحل غارق في الشهوات لا يقدر المسؤولية الملقاة على عاتقة وأنه من بين كل سبعة شبان يتقدمون للتجنيد يوجد ستة غير صالحين ، لأن الشهوات التي غرقوا فيها أفسدت لياقتهم الطيبة والنفسية ". وما تغني التصريحات والتحقيقات عن واقع يلتهب جنساً وعواطف في كل أركانه وعلى جميع مستوياته حتى القيادية منها.

وحينما صدرت بشائر الحضارة الأوروبية إلينا كان على رأس قائمة صادراتها تلك البضاعة الرخيصة في مفهومها الحضاري الأوروبي.

وأول مهام ذلك الغزو أن يتغير مفهوم الشباب حول هذه القضية لتكون قضية شخصية ليس لها حرمة ولا دخل للدين في رسم إطارها وحدودها بل إن الدين يكبت هذه الغريزة وبالتالي بسبب اضطرابات وعقداً نفسيه ، وتحت هذا التبرير استلمت أجهزة التربية بشتى أنواعها وصنوفها إذاعاتها وتلفزيوناتها وصحفها وملاحقها ومجلاتها الجنسية المتخصصة وأفلامها ودعاياتها وأسواقها السوداء حركت خيوطها .. وهكذا استنزفت قوى الشباب لتصب في مصب واحد لا نتاج له سوى الدمار والضياع ولم تعد فيه مقدرة على مواكبة جوهر الحضارة الحقيقي وهذا فرويد أهان العقل البشري حين ادعى في نظريته أن مصدر سلوك الإنسان ليس في رأسه وإنما في غريزته الجنسية ، وقال : " إنه إنسان تعس " لأن أسفله أعلاه ، ولأن غريزته هي المتحكمة فيه ، وإن كل القيم الخلقية والدينية التي أقرتها الإنسانية عبر القرون إنما هي عقد نفسية أو أمر في باعثه الأول الكبت الجنسي).

وبهذا يزور (فرويد) حقيقة هذا الكائن الرفيع ويجعله في مصاف البهائم ، بل إنه هبط به عن منزلة البهائم ، فالبهائم تأكل وتشرب بلذة الأكل والشرب ، وتؤدي نشاطها الجنسي بلذة الجنس ، أما الإنسان فإنه يأكل ويشرب ويكدح في الأرض بلذة ودافع الجنس إلى جانب أداء نشاطه بدافع الجنس !

هذا ما جعل فرويد يهرف بما لا يعرف فيجعل رضاعة الطفل من أمه بدافع اللذة الجنسية ، بل إن الطفل – في رأيه – يتبول ويتبرز بلذة جنسية ، بل إن شعوره تجاه أمه هو الآخر بدافع لذة جنسية ، ويزيد على هذا قائلاً " إن الإنسان لا يحقق ذاته بغير لطاقة الإنسان وهو كبت غير مشروع ".

وأنبنت على مدرسة فرويد مدارس تتناول الإنسان من كل جانب سوى الجانب الروحي الإيماني النظيف ، فالمدرسة التجريبية جاءت لتجعل منه آلة في عداد الآلات المعامل والمصانع واعتبرته جسداً مستقلاً تاركة ما عدا هذا الجانب

الجسدي بل مغفلة له إغفالاً تاماً ، ثم جاءت المدرسة السلوكية لتفسر الإنسان على أنه مجموعة من العادات والتقاليد وردود الفعل التي تنميها البيئة ، ثم ترد كل سلوك الإنسان إلى أسباب فسيولوجية جسدية ، وبهذه النظرة تنزع من الإنسان يعيش في إطارها، وجاء (نيتشه) ليعلن ضرورة إعفاء الإنسان من التقيد بالمثل والأخلاق ، واعتبر هذه الأخلاق خصوصاً المسيحية أخلاق الأذلاء.

وجاء دور كايم ليكمل الانسلاخ فيعتبر الفرد بدون قيمة ، وإنما القيمة الحقيقية للمجتمع الذي يخلق الأديان والعقائد والقيم ، واعتبر بالتالي الدين والزواج والأخلاق قيماً نابعة من المجتمع ومجردة عن أي نزعة فطرية في الإنسان!

وهذه النظرات الهابطة تأثرت بها – للأسف الشديد _ مناهجنا التربوية إلى حد ما قدر لا يصل في شكله النهائي إلى تلك الصورة المزرية المزيفة غلا أنه مهياً للوصول ما لم تعط البدائل لتلك التصورات الهابطة التي وضعها اليهود ورتبوها ليحصلوا منها على نتائج خبيثة وهذا ما قالوه في بروتوكولاتهم (إن نجاح دارون وماركس ونيتشه قد رتبناه من قبل ، والأثر غير الأخلاقي لاتجاهات هذه العلوم في الفكر الأمي (غير اليهودي) سيكون واضحاً لنا على التأكيد ...)

فلا بد من تنظيف مناهجنا التربوية وشطب تلك الأسماء وغيرها من القاموس العلمي التربوي ، وإن المنهج التربوي الإسلامي يملك البدائل النظيفة المقنعة التي تتجاوب وفطرة هذا الإنسان وتعالج كل أوتاره الفطرية وتغذيها بغذائها دون أن تسمع لها صوتاً نشازاً أو انحرافاً .

والإسلام ينظر إلى مشكلة الجنس بمنظار يتفق وفطرة هذا الإنسان ، فالله عز وجل الذي فطر الإنسان هو الذي ركز الرغائب والغرائز فيه وجعل حياته مرهونة بإشباع هذه الغرائز. فالإنسان يجوع ويعطش ويرغب في التملك ويحب المال والأولاد وغير ذلك.

ويريد الباري عز وجل أن يحفظ الحياة واستمرارها ويستخلف الناس في هذه الأرض وهو هدف سام عظيم فجعل الرغبة الجنسية فطرة مركبة في الإنسان تدفعه بشدة كي يحفظ النسل واستمراره ولذا جعل الإسلام الاعتداء على النسل معرضاً للعقوبة التي تصل حد الموت ، وعل الله عز وجل هذا الحنين والرغبة بين الجنسين الرجل والمرأة وجعل خلق الرجل وشكله بصورة تؤدي إلى تحقيق هذه الرغبة والحنين وبالتالي المحافظة على النسل والجنس البشري ، وكذلك خلق المرأة بهيئة معينة يتم فيها هذا الأمر.

فالإحساس بهذه الرغبة هو إحساس بأمر فطري في نفس الإنسان يجب أن لا أصطدم معه وأن أجعل هذا التفكير في حدوده التي لا تقعد بي عن عمل ولا تنزوي بي إلى ركن يتسلل إليه الشيطان، وأفهم فهماً مدركاً أن الإسلام لا يمنعني من إفراغ ما أحسه وأن أشبع هذه الرغبة ولكنها بطريقها المحدد وفي وقتها الذي أستطيع تحمل تبعاته ، إنه ليس من حقي أن أفرغ هذه الطاقة في أي مكان وبأي طريقة كانت ومع أي قناة شئت، إن هناك طرقاً للوصول إلى هذا الأمر ينظمها ديني تحقيقاً لهدفه النظيف الذي لا أهضم فيه حق غيري ولا أعتدي على أعراض الناس ولا أدنس نفسي في وحل الخطيئة .

وأعلم وأنا أفكر في هذا الجنس أنني بشر من عقل وجسم وروح ويجب ألا تجرني رغبة جنسية إلى نسيان ذاتي وأني أتمتع باختيار وقدرة على ضبط نفسي ورغباتها وأستجيب لعقل راشد وروح إيمانية عالية يسددان لهذا الجسم ورغباته الطريق ، إنني أختلف عن الحيوان الهائم المعدوم الاختيار والتصرف.

وأدرك أن رغبتي هذه لها وقت محدد تتوافر فيه ظروف معينة أستيطع في ظلها أن أتحمل تبعة ما أنا مقدم عليه فلا

بأس أن أؤجل هذه الطاقة وأصرف نفسي بالصبر والعلم الجاد المثمر وأن أسد فراغ وقتي بما يصلح ويفيد.

اعتساف الطريق لن يؤدي إلى تحقيق رغبتي كما يريدها ربي، إن هذا الاعتساف وتعجل الخطوات قد يؤدي إلى مشاكل نفسية واجتماعية لا أستطيع مواجهتها.

فإذا ما سرت إلى إشباع هذه الرغبة بطريقها المرسوم فإني حينئذ أصل إلى ظل وارف وماء عذب وحياة هادئة ومتعة نظيفة وحرية هناك مطلقة.

فعلي أن أدخر هذه الطاقة التي لم يحن وقتها – والتي يأجرني الله عليها – فإن الإسلام محتاج إليها حاجته لكل الطاقات الأخرى متناسقة في إطار العقل والجسم والروح.

إنه الشمول حتى في العواطف ، إنه الالتزام حتى في الشهوات ، إنه استسلام حتى في المشاعر والأحاسيس ، إنه الانقياد للتوجيه والامتثال للأمر والنهي.

فالإسلام يقر الجنس والرغبة الجنسية ولا يعدها عيباً ونفرة وكرهاً ولا يطلب من المسلم أن يترفع عنها ، بل يحثه عليها وعلى إشباع رغبته الفطرية ويطلبها منه في إطارها الذي يرسمه له هذا الدين ، بل إن الإسلام يسمو بهذه الرغبة ويجعلها طريقاً للأجر والمثوبة.

فيبين النبي (صلى الله عليه وسلم) أن المسلم يؤجر ويثاب على إتيانه شهوته بالحلال فيقول الصحابة متعجبين : يا رسول الله أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم إجابة الإسلام الواضحة الناصعة " أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه وزر ، فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجـر".

ويقول النبي (صلى الله عليه وسلم) وهو القدوة : (حبب إلى من دنياكم الطيب والنساء وجعلت قرة عيني في الصلاة).

ويقول تعالى : (قل من حرم زينة الله إلى أخرج لعباده والطيبات من الرزق)

ويقول عز من قائل : (زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث).

ويحسب كثير من الناس أن الإسلام يكبت هذه الغريزة الجنسية أو يحصرها في نطاق ضيق يؤدي إلى كبتها وبالتالي تكون العقد النفسية الحادة.

والحق الصراح في هذا أن الإسلام لا يكبت هذه الغريزة بالمعنى الذي ذكروه في دعواهم واتهامهم فهم معنى الكبت ذاته ، فليس الكبت هو الامتناع عن العمل الغريزي كما يخيل للكثيرين إنما ينشأ الكبت من استقذار الواقع الغريزي في ذاته وعدم اعتراف الإنسان بينه وبين نفسه أن هذا الدافع يجوز أن يخطر بباله أو يشغل تفكيره ، والكبت بهذا المعنى مسألة لا شعورية ، وقد لا يعالجها إتيان العمل الغريزي ، فالذي يأتي هذا العمل وفي شعوره أنه يرتكب قذارة لا تليق به ، شخص يعاني الكبت حتى ولو " ارتكب " هذا العمل عشرين مرة كل يوم ، لأن الصراع سيقوم في داخل نفسه كل مرة بين ما عمله وما كان يجب أن يعمله ، وهذا الشد والجذب في الشعور وفي اللاشعور هو الذي ينشئ العقد والاضطرابات النفسية.

ونحن لا نأتي بهذا التفسير لكلمة الكبت من عندنا : بل هو تفسير فرويد نفسه الذي أنفق حياته العلمية لكها في هذه المباحث وفي التنديد بالدين الذي يكبت نشاط البشرية فهو يقول في ص12 من كتابه : Three contributions, the sexual theory

يجب أن نفرق تفريقاً حاسماً بين هذا (الكبت اللا شعوري) وبين عدم الإتيان بالعمل الغريزي ، فهذا مجرد (تعليق للعمل).

فالكبت إذاً هو استقذار الواقع الغريزي أما تعليق التنفيذ إلى أجل آخر فليس هذا يكبت ، وبهذه المفاهيم وبهذه النظرة

يجب أن تواجه المشكلة فتفتح أبواب الزواج المبكر وتخفض المهور وتسد أبواب الفتنة كلها ويهيأ الجو الملائم لتعيش الغرائز الجنسية نظيفة عفيفة وتؤدي ثمارها ، إحصاناً وصيانة للشباب وتقوية للأمة وما زال لدينا سعة في تدارك الأمر فإن ما يعانيه مجتمعنا من جراء هذه القضية المفتعلة لم يصل الأمر فيها إلى حد الانفجار والثورة بعد ، وما زلنا في مقدماتها التي ما زالت بقية من الدين والتدين تحول دون انفجارها، لهذا وجب التنبيه إلى الوقوف دون استكمال هذه الثورة دورتها ،ولن يكون ذلك إلا بتصحيح هذه الغريزة لدى الشباب بالإطار الإسلامي الذي يهذبها ولا يكبتها ، فالوعي الإسلامي الرشيد هو السلاح الوحيد الذي يستطيع المواجهة والحفاظ على حرمات المسلمين وعفتهم ، وبدونه ستهدم الحرمات وتنتهك وتقتل الذبيحة وهي مخدرة خائرة القوى ميتة دون طعن.

فلن يستطيع شبابنا المقاومة ما دام مجرداً من سلاح الإيمان فينبغي أن نهتم بهذه القضية وأن نمسك بخيوطها المبثوثة.

وهي خيوط لم تستكمل بعد حلقاتها ولم تطبق بعد على رقابنا فلننتبه ولنتتبع تلك الخيوط لنقطعها ونستبدلها ببديل إسلامي راشد مرشد.

الفكر الغربي

دعائم الفكر الغربي

ذاك النظام التعليمي التربوي الذي ذكرنا آنفاً ، والقضايا الجنسية المفتعلة والمدارس التربوية .. لم تكن وليدة يوم وليلة ، ولم تكن وليدة شتات من الأفكار والتصورات ، وإنما هي وليدة نظريات ومناهج تبلورت من خلال أحداث تاريخية وفكرية وعقائدية عميقة ، كان للثورة الصناعية الحديثة الدور الرئيسي فيها ، بل إن هذه النظم التربوية وما تبعها ضريبة انتقال الحضارة إلى يد الغرب يسيرون دفتها للوجهة التي يريدون ، وبالأسلوب الذي يرتضون ، ولا بأس من خلاصة لتوضيح دعائم هذا الفكر حتى نستطيع أن نضع أيدينا على أساسات البناء التربوية الحديث ، ونعالج تلك الأساسات مباشرة.

يقوم الفكر الغربي الحديث على ثلاث دعائم :

الدعامة الأولى : إلغاء فكر الألوهية والدين.

الدعامة الثانية : مادية الحياة.

الدعامة الثالثة : حيوانية الإنسان وإطلاق غرائزه.

وتمخضت هذه الدعائم الثلاث بنظريات أدت دوراً كبيراً في تأصيل هذه الدعائم :

1- نظرية المادية التاريخية (ماركسية).
2- نظرية العدم (الوجودية).
3- مادية السلوك والتربية .
4- نظرية الجنس فرويد.

1- النظرية التاريخية الماركسية

نشأت الماركسية أساساً على المادية الغربية فهي وليدة هذه المادية فهي تقوم على أن المادة هي أصل الأشياء كلها فهي سابقة على الفكر فماركس يرى أن التاريخ يمثل صراعاً بين الطبقات ، في كل الميادين السياسية أو الدينية أو الاجتماعية ، ويرد ذلك كله إلى الاقتصاد والمادة.

وتفسر هذه النظرية الأمن على أنه مظهر ضعف الإنسان أما الإقطاع والظلم ، فيوم يأمن الإنسان على نفسه من هذه النظم سوف لا يكون للدين مكاناً.
ولذا يقول ماركس وأتباعه إن الأديان أفيون الشعوب وإن الناس يقبلون على الدين لأنه يخدرهم ويلهبهم عن شقاء الحياة.
ويرى ماركس أن التاريخ العام للبشرة يسير وفق حتمية عبر العنصر الصناعي ، هذه الحتمية التاريخية نفسها هي التي تحفز العمال أن ينتزعوا الجولة من البرجوازية شيئاً فشيئاً بالطرق الدستورية ، ولما كان فعل التاريخ والطرق الدستورية بطيئاً فلا بد من الإسراع في تطوير التاريخ ومساعدته وذلك إنما يكون بثورة العمال ضد البرجوازية لا نتزاع الدولة .
وبالجلمة فإن فلسفة ماركس تقوم على :

1- حقيقة العالم تنحصر في ماديته.
2- لا إله والحياة مادة.
3- الدين أفيون الشعوب.
4- القيم مجرد انعكاس للموضوع الاقتصادي وهي غير ثابتة.
5- الدين أسطورة ابتدعها أصحاب المصالح.
6- تفسير الحياة الإنسانية من خلال التفسير المادي.
7- إغفال القيم وأثرها في الحياة وفي توجيه سلوك الناس.
8- اعتبار القيم الأخلاقية قيماً متطورة لاثبات لها.

واستطاعت فلسفة ماركس بتطورها وتحولها إلى نظام اقتصادي اجتماعي يتمثل في الدولة البلشفية التي قامت عام 1917 في روسيا أن تقسم الفكر الغربي إلى قسمين فكر غربي مادي وفكر ماركسي ، ومن ثم برزت خلافات كثيرة بين المفكرين بالرغم من الأصل المادي الصرف.
ويرى أرنولد توينبي أن الماركسية إنما تمثل (أزمة) في الفكر الغربي المسيحي ، والحق – كمال قال أنور الجندي –

إنها وليدة الفكر الغربي وثمرته وتحول طبيعي في مجراه ، فقد كان من الطبيعي أن ينبثق من أعماق الرأسمالية في عنفها وجموحها وضخامة ثرواتها دعوة يحمل لواءها الطبقة التي تعمل في الصناعة وأن تسبق هذه الطبقة إلى السيطرة على مصادر الإنتاج ، وإذا كانت الرأسمالية تمثل طرف الخيط فإن الماركسية تمثل طرف الخيط من الناحية الأخرى ، وأن كلا المذهبين الاقتصاديين لا بد أن يصدر عنه مع تطور الزمن وفي ظل حركته الدافعة مزيج وسط يتمثل في طور (الاشتراكية).

2- نظرية العدم (الوجودية) أو الوجدانية

مؤسس هذا المذهب سورين كركجرد soren kierkegard الدانمركي ،ولد سنة 1813 وتوفي في الثالثة والأربعين.

واعلام هذا المذهب في فرنسا هم جان بول سارتر sarter وألبرت كاموس camus ومدام سيمون دي بوفوار Beayvoir

ويعرف سارتر الوجودية بقوله : إنها نظرية تجعل الحياة الإنسانية ممكنة وتعتبر أن كل حقيقة لا تكون إلا بفعل عاملين البيئة وعامل الذاتية الإنسانية.

والوجودية في نظر بعض الباحثين كالأستاذ العقاد تعني : أن يهتدي الإنسان إلى وجوده بنفسه وأن يكون موجوداً بالنسبة إلى نفسه وأن يسبرغور وجدانه ، ويستجمع نقائصه في وحدة شاملة تمضي إلى اتجاه متناسق لا تنازع فيه ، وأن يكون بهذه المثابة شيئاً لا يتكرر ولا يتعدد ، لأن الناس – من حيث هم موجودات – خلائق متشابهة ، يجوز فيها التعدد والتكرار وفي نظر البعض ليست إلا تعبيراً عن انحراف الشباب ، فإن شباب أوروبا – بعد الحرب العالمية الثانية – لم يجد غير اليأس والفراغ والضياع ، هذا الشباب الذي لم يثق بأحد ولا يأتي بشئ كبير على حد تعبير سارتر ، أو ما عبر عنه مارسيل جبريل حين قال : إن الناس يعيشون في ذلك التفريغ الخاطف القاتل

الذي يحدثه انفجار قنبلة كبيرة ، وعنده أن الحياة حطام : الوحدة والعزلة والسلبية.
وتقوم الوجودية على الفطرة المادية بل على الفطرة الماركسية أيضاً فيقول سارتر : إننا نعيش في المادة فيجب أن نخضع للطبيعة ونتركها تفعل ما تريد.
ويحدد الوجوديون فكرتهم عن الله عز وجل والحياة فيقول سارتر في قصة الذباب : سيدي الإله : ما إن خلقتني حتى انفصلت عنك ، وتخليت عن نسبتي إليك . فأنا لم أعد ملكاً لك ، وليس ثمة في السماء من خير أو شر أو إنسان يستطيع أن يصدر إلي الأوامر ، لن أعود لأخضع لشرعك ، ولست محمولاً على الخضوع لغير شريعتي أنا لأنني إنسان. ويقول سارتر : " نحن يتامى في هذا الكون ليس لنا سند نستند إليه في تعيين الهدف ، نحن في قلق في حيرة ".
ويقول (ألبير كامي) وهو أحد أقطاب الوجودية إن الفكرة التي تدور حولها فلسفة الوجودية هي اكتشاف أن الحياة بلا معنى ولا هدف ، وأن العالم وجد لكي يموت فيه الإنسان وليس هناك أي نتيجة لكفاح الإنسان ما دام الكون كل جوفه صامتاً.
ولكن نفهم (الوجودية) علينا أن نفهم سارتر ، وسارتر كما تصفه أقرب الناس إليه : (سيمون دي بوفوار) تقول : إنه يكره الحقوق والواجبات وكل شئ رصين في الحياة وهو لا يكاد يهضم أن يكون له مهنة وزملاء ورؤساء وقواعد تراعي وتفرض ، ولن يكون أبداً رب أسرة حتى ولا رجلاً متزوجاً ولم يكن سارتر يرى في الزواج شيئاً عظيماً ، كان فوضوياً أكثر منه ثورياً ، كان يجد المجتمع على ما كان عليه شيئاً محتقراً.
ويحدد سارتر نفسه إلحاديته فيقول : يوجد نوعان من الوجوديين :

أولهم : الوجودين المسيحيون ومنهم الفيلسوف الألماني المعاصر كارل جاسبرز KARL JASPARS والفيلسوف الفرنسي جابرييل مارسيل Gabrial Marcel والاثنان كاثوليكيان.
والفئة الثانية : هي فئة الوجوديين الملحدين وبينهم يجب أن يوضع ها يدجر Heidegger والوجوديون الفرنسيون وأنا أيضاً ، ويقول في موضع آخر : أما الوجودية الملحدة التي أمثلها بنفسي وخلاصة هذا كله أن الوجودية مذهب مادي بدايته انحلال وأنانية وذوبان للشخصية ،ونهايته العدم والضياع والحرية المطلقة القاتلة.
3- مادية السلوك الثقافة الغربية تقوم أساسً على المادية ، وسموا هذه المادية بالفلسفة الرجماتزمية (الذرائع) والتي يقصد منها أن البقاء للأصلح والحق للقوة وأنه ليس ما يمنع من انتهاك حرمة العدل والانصاف والفضيلة من أجل هذا الهدف وهي لذلك لا تؤمن بمساواة الضعيف العاجز في الحقوق التي للقوي المتمكن.
ويرى شارل بيرنز أحد مؤسسي الفلسفة البرجماتزمية : أن القضاء على الضعيف وسيلة جوهرية من وسائل التقدم والرقي ، وأن احترام الوالدين مثلاً نظام لا تقره الثقافة البرجماتزمية ، هذا فضلاً عن أن البرجماتزمية لا تؤمن بالنظريات الإنسانية ، والروحانيات ، وعندها يقاس المستوى والمكانة الاجتماعية بالدخل المادي. ويقول الدكتور عمر خليفة : إن النظرية البرجماتزمية هي المسؤولة عن رواج أدب اللذة والمجون في أمريكا وسيطرته على عناصر الغذاء الفكري ، وهي لا تختلف عن الفلسفة الماركسية وتفسيرها المادي للتاريخ.
ويجمع الدارسون لفلسفة البرجماتزم (التي هي أساس الفكر الأمريكي) على إخضاع كل شئ للعمل ، فالتفكير خاضع للعمل والحقيقة خاضعة للعمل ومعيار الحقيقة عندها هو صلاحيتها للعمل ، والمعرفة نوع من العمل وهي تنكر وجود

القيم اللانهائية والذاتية وكل حقيقة عند أصحاب البرجماتزم لا تقبل على أنها مطلقة.
والبراجماتزم تعارض الدين وعقيدته في الثبات والخلود وسيكولوجية البراجماتزم تعتمد على التفسير البيولوجي (الإنسان جيوان).
وهكذا نجد أن المذاهب من القرن الخامس عشر كانت تنحو نحو المادية على شدة البعض في ذلك وخقته ، وما إن أتى القرن التاسع عشر حتى بلغت المادية منتهاها ، إذ جاء كل من فوغت vogt وبوخنر Bochner وزولبي Cxolbi وكومت comte ومولشات Molschotte ومن سار على دربهم . ثم قام مل Mill بأشاعته التجريبية Empiricism في الفلسفة والنفعية Wititow وفي الأخلاق ، وعرض سبنسر Spencer بكل قوة وشدة النظرية القائلة بحدوث هذا الكون بدون خالق ، وظهور هذه الحياة من تلقاء نفسها وجاءت موجة الاكتشافات العلمية في مختلف العلوم والفنون وتقدم العلوم والفنون وتقدم العلوم التجريبية وتكاثر الوسائل المادية – جاء كل ذلك يؤكد ويثبت في نفس الناس أن هذا الكون قد حدث من نفسه ليس له خخالق ، وهو سائر في طريقه على قوانين معلومة وليس من روائه مدبر ، وأن المادة غير ذات الروح لم تكن تتلقى الروح بأمر من رب ، وأنما المادة متى ارتفعت في نظمها وتركيبها وقعت فيها الروح من ذات نفسها ، وأن النمو والحركة التابعة للإرادة والإحساس والشعور والفكر كل أولئك خصائص لتلك المادة المرتقبة ، وكل من الإنسان والحيوان آلات تجي وتتحرك بحسب قوانين الطبيعة ، وتصدر منها الأفعال والمحركات على حسب التركيب الذي قد ركبت عليه أجراؤها وآلاتها ، وهي ليست على شئ من الاختيار الذاتي والإرادة المستقلة .
ثم كان لنظرية دارون Darwin في الارتقاء أوفر نصيب في تدعيم هذا المذهب المادي وإحلاله محل النظرية العلمية المنظمة القائمة على الأدلة والبراهين ، ويعد كتاب أصل

الأنواع Origin of species الذي ظهر سنة 1859 لأول مرة كتاباً انقلابياً عجيباً ، فاستدل دارون بالطريقة التي كانت أمتن الطرق للاستدلال عند العقول المستنيرة في القرن التاسع عشر وصدق النظرية القائلة بأن نظام الكون يمكن أن يجري بدون الإله ، ولم تكن آثار الطبيعة ومظاهرها لتكون لها علة أو مرجع غير قوانين النظرة نفسها ، وأن ارتقاء الموجودات من أبسط مراحل الحياة إلى أعلاها وأقصاها نتيجة عمل تدريجي لقوة طبيعية متجردة من صفات العقل والحكمة ، وليس خالق الإنسان وخالق سائر الأنواع الحيوانية بصانع حكيم ، بل الأمر أن تلك الآلة الحية التي كانت في بداية أمرها دوداً يدب قد أصبحت بفعل العوامل المختلفة كتنازع البقاء وبقاء الأصلح والانتخاب الطبيعي إنساناً ناطقاً ذا إحساس وشعور.

4- نظرية الجنس

أساس رأي فرويد ونظريته – كما سبق – أن تجعل الإنسان الذي هو مصدر سلوكه الخلقي ليس في رأسه وإنما في الغريزة الجنسية ويقول : إنه إنسان تعس ، لأن أسفله أعلاه ولأن غريزته هي المتحكمة فيه وأن كل القيم الخلقية والدينية التي أقرتها الإنسانية عبر القرون إنما هي عقد نفسية أو أمور في باعثها الأول الكبت الجنسي. ومن هنا أعطى فرويد صورة مزورة للنفس الإنسانية ، خلاصتها أن الكيان الحقيقي للإنسان هو الطاقة البهيمية البحتة ، وأن كل تعديل لهذه الطاقة أو تشكيل أو تهذيب ، ليس داخلاً في هذا الكيان " الحقيقي " وإنما هو مفروض عليه من الخارج من لون قوي عدوانية لاهم لها إلا تحطيم " الكيان الإنساني " وبهذا فهو يفسر الإنسان على أساس حيواني بحت مقصياً كل عنصر إنساني في كيانه بحجة أنه مفروض عليه من خارج نفسه ، وليس أصلاً في كيانه الحقيقي بل زاد على ذلك أن أعطى هذا الكيان الحيواني لوناً جنسياً صارخاً ، فلم يتركه كالحيوان الحقيقي يأكل بلذة الأكل ويشرب بلذة الجنيس ، وإنما جعله يأكل ويشرب ويتحرك

ويصارع ، كل ذلك بلذة الجنس بالإضافة إلى النشاط الجنسي المتعارف على أنه نشاط جنسي ، فصار الطفل يرضع بلذة جنسية ، ويتبول ويتبرز بلذة جنسية ، ويحس نحو أمه بدافع جنسي إلى آخر هذا الخلط الدنس الذي لا يقوم على دليل.
وبعد هذه النظرية توالت المدارس المختلفة حول الإنسان فجاءت المدرسة التجريبية لتضع الإنسان في المعمل وأخذت منه جانبه الجسدي مغفلة كل ما لا يقع في دائرة الآلات والحواس .
ولماء جاءت المدرسة السلوكية فسرت الإنسان على أنه مجموعة من العادات وردود الفعل الشرطية التي تنميها البيئة (أولا تنميها) وترد سلوك الإنسان كله إلى أسباب فسيولوجية (أي جسدية) وترد التعلم إلى الأفعال وردود الأفعال ذات الطابع الحسي البحت وتضيق " مساحة " الإنسان بذلك إلى درجة فردية ، فلا فكر ولا إرادة ولا قيم عليا ولا مشاعر رفيعه وإنما هي الحيوانية الحسية وفي أضيق نطاق.
ولما جاءت المدرسة الميكانيكية تشيد الحياة كلها بما فيها الحياة الإنسانية بالجهاز الآلي المحكوم بضرورات الآلة ، والذي تفسر نشاطه كله قوانينهم الطبيعية والكيمياء، فجعلت الإنسان مجرد آلة تحكمه ضرورات الآلة ، وتنتفي عنه – بطبيعة الحال – كل إرادة موجهة إنسانية أو حتى حيوانية .
وهكذا جرت معظم مدارس علم النفس الغربية في هذا الخلط المعيب بسبب نظرتها الجزئية وإصرارها على أن تفسر الكل الإنساني بالجزء الذي تهتدي إليه ، فلا يقف خطؤها عند إعطاء صورة مشوهة مزورة للإنسان بل تضيع كذلك فرصته للاستفادة من الحقائق الجزئية في مكانها الصحيح ، ويزيد الخطأ حين تنشأ على أساس هذه النظرة الجزئية نظريات في الاقتصاد والاجتماع والأخلاق والسلوك والجريمة والعقاب.
أضف إلى ذلك خطأ تشترك فيه كل المدارس الغربية وهو دراسة النفس والحياة الإنسانية بمعل عن الله عز وجل.

فالمذاهب والنظريات كلها تغفل من حسابها توجه النفس البشرية توجهاً فطرياً إلى خالقها واستمدادها منه مكونات حياتها كلها ، وقوانين حركتها ، ومجالات تحركها وطاقاتها ومدى هذه الطاقات كما تهمل تأثير الديانات السماوية في رسم خطوط جوهرية وحاسمة في تاريخ البشرية كله.
وهذا كله يحدث تشويهاً في الصورة المرسومة " للإنسان " فتارة يرسم كأنه يقوم في هذا الكون وحده، وكأنه هو الإله في هذا الكون ، وتارة يرسم عبداً لتلك الآلة المزعومة ، آلهة الاقتصاد والاجتماع والمادة ، وتارة يرسم كأنما المحرك له هو الأفعال المنعكسة أو الجنس أو الكيماويات أو الميكانيكية الحسية وحدها.
ومن خلال نظريات فرويد في النفس ووليم جميس في الأخلاق وماركس في المادية التاريخية وغيرهم تبدو صورة الفكر الغربي المعاصر في أبرز مسائله وقضاياه.
والنتيجة التي يقررها الدكتور ألكسيس كاريل من هذا هي الجهل المطبق بحقيقة الإنسان وإنشاء نظم وحضارات ونظريات "علمية " من شأنها تدمير الإنسان. ومن هذا كله يتبين أن التصور الأوروبي يذهب بعيداً عن التصور الصحيح للحياة وللكون والوجود ، ويدور في فلسفات مادية ، قاصرة عن الوصول إلى نظرة شاملة حتى الجوانب النفسية لحياة المجتمعات.
ولم تقدم دراسات دور كايم وفرويد ونيتشه وألبير كامي وسارتر وغيرهم تصورات نفسية محدودة المعالم واضحة المنهج بل دخلها الاضطراب ، واتصفت بالنظرة الفردية للأمور وكأنها تجارب شخصية أرادوا وتلاميذهم أن يجعلوها وصفات حقيقية للمشاكل النفسية والجنسية.
فمذهب دور كايم – كما ألمحنا سابقاً – أن الفرد لا قيمة له ولا معنى له بالنسبة للحرية الفردية ، وأن القيم كلها للمجتمع الذي يخلق الأديان والعقائد والآداب والقيم ، وعنده أن الدين

والزواج والأسرة ليست نزعات فطرية في الإنسان ، وأن القواعد الخلقية لا وجود لها في ذاتها.
وقد اعتمد في مذهبه على الماركسية والداروينية معاً ونقل آراءهما من مباحث الاقتصاد والعلم إلى مباح الاجتماع والأخلاق.
وخلاصة رأي نيتشه هو نقض الديانات التي تقول بالرحمة والتعاون والإخاء البشري وحماية الضعيف ، فقد حمل على المسيحية ووصفها بالسلبية، وقال إن أخلاق المسيحية تعارض بقاء الأقوياء (الصقور) وتصدهم عن حقهم الذي تنطق به الطبيعة ، وهو أن الصقر يجب أن يأكل العصفور.
وقد دعا نيتشه إلى إعفاء الإنسان من التقيد بالأخلاق المسيحية ووصفها بأنها أخلاق الأذلاء وتتمثل هذه الدعوة المادية في دعوة المادية في دعوة برتراند رسل إلى مهاجمة المعتقدات الدينية فهو يعلن بصراحة مريرة أنه ليس مسيحياً فيهاجم التعاليم الدينية الخاصة بالجنس ويرى أن تعاليم المسيحية لا تتفق مع منطق العلم، ويقول إنه لا يؤمن بوجود حقيقة مطلقة ، ويدعو إلى التحرير الجنسي.
هذه هي الدعائم والأسس التي قامت عليها هذه الحضارة المادية ، هذه الأسس التي لا يمكن أن تنتج إلا شباباً خائر القوى ، ضعيف الهمة ، همه شهوته ، وميزان أفضليته قوته وانتاسبه لهذه الحضارة ، حضارة الرجل الأبيض كما يسمونها.
وكيف يسمو هذا الشاب عن مستوى الحيوانية وهو يحس أن عقله في أسفله وأن غريزته الجنسية هي المحرك لكل نشاطه وأن هذه الحياة متعة يكسب منها ما يستطيع فلا إله والحياة مادة . إن هذه الأسس الهشة الواهية بدأت تنتج شباباً في هذا العصر لا يعرف هويته ولا هدفه من العيش ، ولا من أين أتى ولا على أين يصير ليهرب من هذه الحياة بأي شكل من أشكال الهروب ، باللامبالاة أو بالانتحار الفردي أو الجماعي أو بحبوب الهلوسة وما إلى ذلك .

هذه الحضارة المادية ، حضارة القرن العشرين ، وهذا ما دعى ألكسيس كاريل لأن يقول :
" إن الحضارة العصرية تجد نفسها في موقف صعب لأنها لا تلائمنا ، فقد أنشئت دون أية معرفة بطبيعتنا الحقيقية إذا أنها من خيالات الاكتشافات العلمية ، وشهوات الناس وأوهامهم ونظرياتهم ورغباتهم وعلى الرغم من أنها أنشئت بمجهوداتنا إلا أنها غير صالحة بالنسبة لحجمنا وشكلنا ".

المحتويات

الموضوع	صفحة
-تقديم "إدارة البحوث والمعلومات	.....
-المؤلف في سطور	.....
-مقدمة	.....
-الانفصام بين المنهج والواقع	.....
-الانفصام بين المنهج والأستاذ	.....
-نظام التعليم الغربي	.....
-التربية العاطفية	.....
-الفكر الغربي	.....
- دعائم الفكر الغربي	.....
- النظرية التاريخية الماركسية	.....
- نظرية العدم (الوجودية) أو الوجدانية	.....
- مادية السلوك	.....
- نظرية الجنس	.....